

الفصل الرابع

بعد بن إسحاق

أبو معشر السندي

نرى إزاما علينا أن نذكر معاصرا صغيرا لابن إسحاق، حُفِظَتْ لَنَا مِنْ «مغازيه» قطع عند الواقدي وابن سعد وغيرهما : وهو أبو معشر المعروف بالسندي ، ويبدو من لقبه أنه هو نفسه أو أحد آبائه جاء من السند إلى بلاد العرب . وإذا كان أبو نعيم^(١) محقا ، حين يقول دون أن يذكر مراجعته «إن أبا معشر سِنْدِي ، وكان الكِن ؛ يقول : حدثنا محمد بن قعب ، يريد كعب» ، فإننا يجب أن نستنتج أن أبا معشر ولد من أبوين غير عربيين ، ولكن لقب السندي يمكن إطلاقه على العربي لتقيم في السند ، لأن السند كانت من ولايات الخلافة العربية منذ عام ٥٩٢ هـ . ويقول جد أبي معشر ، داود بن محمد^(٢) : إن جده كان أصله من اليمن ، مما يجعلنا نظن أن والد أبي معشر هاجر من السند إلى اليمن . ويؤكد الجد أن أبا معشر كان أبيض^(٣) على حين يصفه أبو مُشَهِرٍ بالسواد . ويبدو أن أبا معشر نفسه كان من قبيلة حنظلة بن مالك^(٤) من جانب أمه . وكان اسمه في الأصل عبد الرحمن بن

(١) ياقوت ، تحقيق وستفلد ٣ : ١٦٦ . والسماعى : أنساب ٣١٣٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ١٠ : ٤٢١ . وقال داود بن محمد بن محمد بن أبي معشر ، حدثني أبي : أنه كان أصله من اليمن ... وكان أبيض أزرق سمينا . ح : كانت البصرة أيضا يطلق عليها في بعض الأحيان اسم السند ، لخلقة بها كانت بهذا الاسم ، ويرجع أنها كان يسكنها كثير من هؤلاء السنديين لأنها الميناء الذي يخرج منه المسافر إلى بلدهم ، فربما نسب أبو معشر إليها . (٣) الذهبي ، تحقيق سخاو ، دراسات .

(٤) نفس المرجع ١٠ : وكان أبو معشر يذكر أنه من ولد حنظلة بن مالك .

الوليد ، كما يخبرنا^(١) جد آخر له ، يسمى الحسين . وبعد خطفه وبيعه رقيقا في المدينة سماه مواليه من بني أسد نجيجا^(٢) . وما يسمى هنا بالخطف يظهر أن المراد به ، كما في عبارة جده الآخر داود المذكور سابقا^(٣) ، هو السبي « في وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين » ، ثم صار أبو معشر في يد أم موسى بنت منصور الحميري ، زوج الخليفة المنصور وأم الخليفة المهدي^(٤) ، فأعتقه هذه المالكة الجديدة^(٥) . وتقول مصادر أخرى إنه بدأ يشتري نفسه من حيازة امرأة (مكاتبة ، أي يدفع أقساط في فترات محددة) فاشتريت أم موسى ولاءه من المرأة وأعتقه^(٦) . فصار مولى للعباسيين ، وكان يعلق على صلته بالبيت الحاكم من الأهمية أكثر مما يعلق على نسبه في بني حنظلة^(٧) . وحين قدم الخليفة المهدي إلى المدينة

-
- (١) نفس المرجع : وقال أبو بكر الحسين بن محمد بن أبي معشر : حدثني أبي قال : كان اسم أبي معشر ، قبل أن يسرق ، عبد الرحمن بن الوليد بن هلال .
- (٢) نفس المرجع : فسرق فبيع بالمدينة ، فاشتراه قوم من بني أسد ، فسموه نجيجا .
- (٣) ابن حجر ١٠ : ٤٢١ .
- (٤) الضري ٣ : ٤٢٣ : وكانت أم موسى [الحميرية] ولدت له (يعني المنصور) جعفرا والمهدي .
- (٥) ابن حجر : نفس المرجع : ثم اشترى أم موسى بن المهدي ، فأعتقه .
- (٦) الفهرست ٩٣ : وكان مكاتبا لامرأة من بني مخزوم وعتق ؛ ابن سعد ٥ : ٣٠٩ : وكان مكاتبا لامرأة من بني مخزوم ، فأدى وعتق ، فاشتريت أم موسى بنت منصور الحميرية ولاءه ؛ والقدسي ، تحقيق سخاو : دراسات ؛ ويقول البخاري : تاريخ ، إنه كان « مولى أم سلمة » .
- (٧) المقدسي ١٠ : وقال لي : ولاؤنا في بني هاشم أحب إلى من نسي في بني حنظلة .

للحج^(١) استصحب أبا معشر معه إلى بغداد ، كما يخبرنا أبو معشر نفسه^(٢) ،
ودفع له ألف دينار ، وأمره بالحضور عنده وتقفيه من حوله . وقد تغير
في الأعوام الأخيرة قبل وفاته تغيرا شديدا ، واختلط عقله^(٣) ، وتوفي عام
١٧٠ هـ^(٤) في بغداد ، فدفن في المقبرة الكبيرة ، وصلى عليه هارون^(٥) .
وقد دفع بعضهم شهرة أبي معشر بالحديث ؛ يقول البخاري^(٦) : « يخالف
في حديثه » . ويصفه ابن سعد^(٧) بأنه : « كان كثير الحديث ضعيفا »
ويذكر ابن حجر^(٨) جمورا من الأحكام ضده . ولكن روايته للمغازي
مقبولة ؛ يصفه أحمد بن حنبل^(٩) بأنه « بصير في المغازي » ، ويقول : أبو معشر^(١٠)
« له مكانة في العلم والتاريخ ، وتاريخه احتج به الأئمة ، وضعفوه
في الحديث » .

(١) الطبري ٣ : ٤٨٢ . (٢) ابن حجر : نفس المرجع ٤٢١ : وقدم
المهدي في سنة ستين ومئة ، فاستصحبه معه إلى العراق ؛ الذهبي ١٠ : إن المهدي
قدم المدينة سنة ستين ومئة ، فأشخص أبا معشر معه إلى العراق ، وأمر له بألف
دينار ، وقال : تكون بحضرتنا ، فتفقه من حولنا .

(٣) ابن حجر : نفس المرجع ٤٢٢ : وتغير قبل أن يموت بستين تغيرا شديدا ؛
والذهبي ٢ ، الذي يذكر : حتى كان يخرج منه الريح ولا يشعر بها ؛ السمعاني ٣١٣ :
وكان ممن اختلط في آخر عمره ، وبقى قبل أن يموت سنين في تغير شديد ،
لا يدري ما يحدث به ، لكثرة المناكير في روايته من قبل اختلاطه .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣٠٩ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٣ ؛ السمعاني ٣١٣ ؛
ابن حجر ١٠ : ٤٢١ ؛ يقول الفهرست ٩٣ إنه توفي في أيام الهادي (الذي توفي
عام ١٦٩ هـ) .

(٥) السمعاني ٣١٣ ؛ الذهبي ٢ . (٦) تاريخ ١٩٩ .

(٧) ابن سعد ٥ : ٣٠٩ . (٨) تهذيب ١٠ : ٤٢٠ .

(٩) المقدسي ٩ . (١٠) ابن حجر ١٠ : ٤٢٢ .

ويذكر الفهرست^(١) أن أبا معشر ألف « كتاب المغازي » ، وتوجد عدة قطع من ذلك الكتاب في « كتاب المغازي » للواقدي ، الذي يذكره خاصة في الأحوال التي يقدم فيها لأحد الفصول إسنادا يشمل جميع الرواة^(٢) . ونلاحظ من المقتطفات في ترجمة ابن سعد للنبي أن أبا معشر تناول قصة حياة النبي جميعها ؛ ويذكره ابن سعد في قائمة من روى له المغازي ، وروى له تراجم الصحابة أيضا^(٣) ؛ وكذلك يظهر اسمه في الفصول الخاصة بأعوام النبي الأولى عند ابن سعد والطبري^(٤) . ويبدو أن أبا معشر ألف إلى جانب مغازيه « تاريخا » ، أي عرضا حول الحوادث العصر الإسلامي ، وقد وصل به إلى عام ١٧٠ هـ ، وآخر حادث اقتبسه الطبري من كتابه وفاة الخليفة المهدي التي وقعت في ربيع عام ١٧٠ هـ ؛ وتوفي أبو معشر نفسه بعيد ذلك . وعلى حين يذكر أبو معشر في المغازي رواته ، نجد أنه لا يستعمل أي إسناد في الغالب ، إن لم يكن دائما ، في التاريخ ، وقد تنفعنا الفقرة الآتية وهي عند ابن سعد^(٥) عن الخليفة الأموي عبد الملك ، مثلا لتناوله الحوادث التاريخية في « التاريخ » ؛ قال : « مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، وله ستون سنة . فكانت ولايته من يوم بويج إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا

(١) تحقيق فلوجل ٩٣ .

(٢) الفقرات في فهرس وهوزن . وفي وهوزن ٣٢١ يسأله الواقدي عن خبر رواه له راو آخر .

(٣) ابن سعد ٢ : ١ : ٣ : ٢١ . (٤) الطبري ١ : ١١٩٥ .

(٥) ابن سعد ٥ : ١٧٤ وما بعدها ؛ الطبري ٢ : ١١٧٢ .

ونصفا . وكان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ، ويُسلم عليه بالخلافة بالشام ، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب . وبقى بعد مقتل عبد الله ابن الزبير ، واجتماع الناس عليه ، ثلاثَ عَشْرَةَ سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليالٍ .

الواقديّ

ينتمي محمد بن عمر الواقدي إلى الموالي الذين كانوا يعيشون في المدينة مثل أبي معشر . ويلقب بالواقديّ لأن جده كان يسمى واقدا، وكان يلقب أيضا الأسلمي^(١) لولائه لعبد الله بن بُرَيْدَةَ من بني أسلم المدنيين . وولد الواقدي في المدينة عام ١٣٠ هـ تبعاً لقول تلميذه ابن سعد ، أي في خلافة مروان الثاني^(٢) ، وكانت أمه من أحفاد سائب خاثر^(٣) ، الذي كان أول من غنى قصاداً عربية في المدينة ، والذي حضر والده من فارس إلى المدينة أسير حرب ، ولذلك يجري في عروق الواقديّ بعض الدم غير العربيّ .

(١) ابن سعد ٧: ٧٧: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي
(٢) ابن سعد ٥ : ٣٢١ : قال محمد بن سعد : أخبرني (يعني محمد بن عمر) أنه ولد في سنة ثلاثين ومئة ؛ نفس المرجع ٧ : ٧٧ : وذكر أنه ولد سنة ثلاثين ومئة في آخر خلافة مروان بن محمد .

(٣) الأغاني ٧ : ١٨٨ : وزعم ابن خرداذبه : أن أم محمد بن عمر الواقدي ... بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر . ح : لا أستطيع موافقة المؤلف على رأيه هذا في سائب خاثر ، فهو نيس أول من غنى القصاد العربية ، وإنما هو أول من ابتكر نوعاً خاصاً من الغناء في الحجاز ، وإن كانت الروايات تختلف عن ذلك النوع ، وأكتفى خوف التطويل باقتباس ما ذكره أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١٨٨) : « قال ابن الكلبي وأبو غسان وغيرهما : هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به ... قال ابن الكلبي : وهو أول صوت غنى به في الإسلام في الغناء العربي المنقن الصنعة ... وقال ابن الكلبي : سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل ... »

واستمع الواقدي في بلدته إلى مجالس أشهر شراح الحديث ، وحينما زار الخليفة هارون الرشيد المدينة في حجة - وأعله في عام ١٧٠^(١) - دلوه على الواقدي، ليرشده إلى المواضع المقدسة في المدينة . ولدينا خبر وافي عن هذا الخبر يرويهِ الواقدي نفسه ، حفظه لنا تلميذه ابن سعد^(٢) :

« حج أمير المؤمنين هارون الرشيد، فورد المدينة ، فقال ليحيى بن خالد : ارتد لي رجلا عارفا بالمدينة والمشاهد ، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن أيّ وجه كان يأتيه ؟ ، وقبور الشهداء . فسأل يحيى بن خالد ، فكلّله عليّ ، فبعث إليّ ، فأتيته، وذلك بعد العصر . فقال لي : يا شيخ ، إن أمير المؤمنين - أعزه الله - يريد أن تصليَ عشاء الآخرة في المسجد، وتمضيَ معنا إلى هذه المشاهد، فتوقفنا عليها، والموضع الذي يأتي جبريل - عليه السلام - وكن بالقرب . فلما صليت عشاء الآخرة إذا أنا بالشموع قد خرجت ، وإذا أنا برجلين على حمارين ، فقال يحيى : أين الرجل ؟ فقلت : ها أنا ذا . فأتيت به إلى دور المسجد، فقلت : هذا الموضع الذي كان جبريل يأتيه . فنزلا عن حمريهما ، فصليا ركعتين ، ودعوا الله ساعة ، ثم ركبا وأنا بين أيديهما ، فلم أَدع موضعا من المواضع ،

(١) الطبري ٣ : ٦٠٥ . وحج هارون للمرة الثانية في عام ١٨٠ ؟
الطبري ٣ : ٦٤٥ : وفيها (يعني سنة ١٨٠) صار الرشيد إلى البصرة منصرفه من مكة .
(٢) ابن سعد ٥ : ٣١٥ وما بعدها : وحدثني أحمد بن مسبح قال : حدثني عبد الله بن عبيد الله قال : قال لي الواقدي : حج أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فورد المدينة ، فقال ليحيى بن خالد .

ولا مشهدا من المشاهد إلا مررتُ بهما عليه ، فجلا يصليان ، ويجتهدان في الدعاء ، فلم نزل كذلك حتى وافينا المسجد ، وقد طلع الفجر ، وأذن المؤذن ؛ فلما صاروا إلى القصر ، قال لي يحيى بن خالد : أبها الشيخ ، لا تبرح . فصليت الغداة في المسجد ، وهو على الرحلة إلى مكة . فأذن لي يحيى بن خالد عليه ، بعد أن أصبحت ، فأدنى مجلسي وقال لي : إن أمير المؤمنين - أعزه الله - لم يزل باكيا ، وقد أعجبه ما دللته عليه ، وقد أمر لك بعشرة آلاف درهم . فإذا بدرة مبدرة قد دفعت إليّ ، وقال لي : يا شيخ ، خذها مبارك لك فيها ، ونحن على الرحلة اليوم ، ولا عليك أن تلقانا حيث كنا واستقرت بنا الدار ، إن شاء الله . ورحل أمير المؤمنين ، وأتيت منزلي ، ومعى ذلك المال ، فقضينا منه ديننا كان علينا ، وزوجت بعض الولد ، واتسعنا .

وقد انتفع الواقدي بتلك الصلة التي أنشأها مع العباسيين ، في عام ١٨٠ هـ^(١) ، حين ضاقت به الحال ، وذهب إلى بغداد ، ومنها إلى الرقة ، حيث كان الخليفة هارون في ذلك الوقت^(٢) . وحفظ ابن سعد خبرا مفصلا عن هذه الرحلة إلى الخليفة مرويا عن الواقدي نفسه^(٣) :

« ثم إن الدهر عضنا فقالت لي أم عبد الله : « زوج الواقدي وكانت

(١) ابن سعد ٧ : ٧٧ : وكان من أهل المدينة ، فقدم بغداد في سنة ثمانين ومئة ، في دين لحقه ، فلم يزل بها ، وخرج إلى الشام والرقة .

(٢) الطبري ٣ : ٦٤٦ : ثم شخص (يعني هارون الرشيد) من مدينة السلام إلى الرقة (سنة ١٨٠) .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣١٥ وما بعدها .

كنيته أبو عبد الله : « يا أبا عبد الله ، ماعودك وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك ، وسألك أن تصير إليه حيث استقرت به الدار . فرحلت من المدينة ، وأنا أظن القوم بالعراق . فأتيت العراق ، فسألت عن خبر أمير المؤمنين ، فقالوا لي : هو بالرقّة . فأردت الانصراف إلى المدينة ، فنظرت فإذا أنا بالمدينة مختل الحال ، فحملت نفسي على أن أصير إلى الرقة .

فصرت إلى موضع الكرا ، فإذا أنا بعدة فتيان من الجند يريدون الرقة ، فلما رأوني قالوا : أيها الشيخ ، أين تريد ؟ فخبرتهم بخبري ، وأنى أريد الرقة ، فنظروا في كرا الجمالين ، فإذا هي تُضَعِفُ علينا ، فقالوا : أيها الشيخ ، هل لك أن تصير إلى السفن ، فهو أرفق بنا ، وأيسر علينا من كرا الجمال . فقلت لهم : ما أعرف من هذا شيئا ، والأمر إليكم . فصرنا إلى السفن فآكترينا ، فما رأيت أحدا كان أبر بي منهم ، ولا أشفق ولا أحوط ، يتكفون من خدمتي وطعامي ما يتكلفه الولد من والده ، حتى صرنا إلى موضع الجواز بالرقّة ، وكان الجواز صعبا جدا ، فكتبوا إلى قائدهم بعدادهم ، وأدخلوني في عدادهم .

فمكثنا أياما ، ثم جاءنا الإذن بأسمائنا ، فجزت مع القوم ، فصرت إلى موضع لهم في خان نزول ، فأقمت معهم أياما ، وطلبت الإذن على يحيى بن خالد ، فصعب عليّ ، فأتيت أبا البخترى « أي وهب ابن وهب الذي كان قاضيا حينئذ ، وهو بي عارف ، فلقيته فقال لي : يا أبا عبد الله ، أخطأت على نفسك وغررت ، ولكن لست أدع أن أذكرك له . وكنت أغدو إلى بابهِ وأروح ، فقلت نفقتي ، واستحييت

من رُقائى ، وتخرقتُ ثيابى ، وأيستُ من ناحية أبى البختري . فلم أخبر
رُقائى بشيء ، وعدت منصرفا إلى المدينة .

فدرة أنا فى سفينة ، ومرة أمشى حتى وردت السيلحين . فبينما أنا
مستريحاً فى سوقها ، إذا أنا بقافلة من بغداد ، فسألت : من هم ؟ فأخبرونى
أنهم من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن صاحبهم بكار
الزبيرى ، أخرجه أمير المؤمنين ليوليه قضاء المدينة ، والزبيرى أصدق
الناس لى . فقلت : أدعه حتى ينزل ويستقر ، ثم آتية ، فأنتبه بعد أن
استراح ، وفرغ من غدائه ، فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فسلمت
عليه ، فقال لى : يا أبا عبد الله : ماذا صنعت فى غيبتك ؟ فأخبرته بخبرى
وبخبر أبى البختري ، فقال لى : أما علمت أن أبا البختري لا يجب أن
يذكر لأحد ، ولا ينبئه باسمك ، فما رأى ؟ فقلت : رأى أن أصير
إلى المدينة . فقال : هذا رأى خطأ ، خرجت من المدينة على ما قد علمت
ولكن رأى أن تصير معى ، فأنا الذى أكر ليحيى أمرك .

فركبت مع القوم حتى صرت إلى الرقة . فلما عبرنا الجواز قال لى :
تصير معى ؟ فقلت : لا ، أصير إلى أصحابى ، وأنا مبكر عليك غدا ،
لتصير جميعا إلى باب يحيى بن خالد ، إن شاء الله . فدخلت على
أصحابى ، فكأنى وقعت عليهم من السماء ، ثم قالوا لى : يا أبا عبد الله ،
ما كان خبرك ؟ فقد كنا فى غم من أمرك ؟ فخبرتهم بخبرى ، فأشار على
القوم بلزوم الزبيرى ، وقالوا : هذا طعامك وشرابك ، لانهم له .

فعدوت بالغداة إلى باب الزبيرى ، فخبرت بأنه قد ركب إلى باب

يحيى بن خالد ، فأتيت باب يحيى بن خالد ، فقعدت مليا ، فإذا صاحبي قد خرج ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، أنسبتُ أن أذاكره أسرك ، ولكن قف بالباب حتى أعود إليه . فدخل ثم خرج إلى الحاجب ، فقال لى : ادخل . فدخلت عليه فى حالة خسيسة ، وذلك فى شهر رمضان ، وقد بقى من الشهر ثلاثة أيام أو أربعة . فلما رآنى يحيى بن خالد فى تلك الحال ، رأيت أثر النعم فى وجهه ، وسلم علىّ وقرب مجلسى ، وعنده قوم يحادثونه ، فجعل يذاكرنى الحديث بعد الحديث ، فاقطعتُ عن إجابته ، وجعلت أجيبه بالشىء ليس بالموافق لما يسأل ، وجعل القوم يجيبون بأحسن الجواب وأنا ساكت .

فلما انقضى المجلس ، وخرج القوم خرجت ، فإذا خادم ليحيى بن خالد قد خرج ، فلقينى عند الستر ، فقال لى : إن الوزير يأمرك أن تُفطر عنده العشية . فلما صرت إلى أصحابى خبرتهم بالقضية ، وقلت : أخاف أن يكون غلظ لى . فقال لى بعضهم : هذه رغيفان وقطعة جبن ، وهذه دابتى ، تركب والغلام خلفك ، فإن أذن لك الحاجب بالدخول دخلت ، ودفعت مامعك إلى الغلام ، وإن تكن الأخرى صرت إلى بعض المساجد ، فأكلت مامعك وشربت من ماء المسجد .

فانصرفت فوصلتُ إلى باب يحيى بن خالد ، وقد صلى الناس المغرب . فلما رآنى الحاجب قال : يا شيخ ، أبطأت وقد خرج الرسول فى طلبك غير مرة . فدفعتُ ما كان معى إلى الغلام ، وأمرته بالمقام . فدخلت فإذا القوم قد توافوا ، فسلمتُ وقعدت ، وقدم الوضوء فتوضأنا ، وأنا أقرب

القوم إليه ، فأفطرنا ، وقربت عشاء الآخرة ، فصلى بنا ، ثم أخذنا مجالسنا ، فجعل يحيي يسألني وأنا منقطع ؛ والقوم يجيبون بأشياء هي عندي على خلاف ما يجيبون .

فلما ذهب الليل ، خرج القوم ، وخرجت خلف بعضهم ، فإذا غلام قد لحقني ؛ فقال : إن الوزير يأمرك أن تصير إليه قابلة ، قبل الوقت الذي جئت فيه يومك هذا . وتناولني كيسا ما أدري ما فيه إلا أنه ملأني سرورا ، فخرجت إلى الغلام ، فركبت ومعي الحاجب ، حتى صيرني إلى أصحابي ، فدخلت عليهم ، فقلت : اطلبوا لي سراجا . فقضت الكيس فإذا دنانير ، فقالوا لي : ما كان رده عليك ؟ فقلت : إن الغلام أمرني أن أوافيه قبل الوقت الذي كان في ايدي هذه . وعددت الدنانير فإذا خمس مئة دينار ، فقال لي بعضهم : على شراء دابتك . وقال آخر : على السرج واللجام وما يصلحه . وقال آخر : على حمامك وخضاب لحيتك وطيبك . وقال آخر : على شراء كسوتك ؛ فانظر في أي الزى القوم ؟ فعددت مئة دينار ، فدفعتها إلى صاحب نفقتهم ، خلف القوم بأجمعهم : إنهم لا يرزءونني دينارا ولا درهما .

وعدوا بالعداة ، كل واحد على ما انتدب لي فيه . فما صليت الظهر إلا وأنا من أنبل الناس ، وحملت باقي الكيس إلى الزبيرى . فلما رأني بتلك الحال سرَّ سرورا شديدا ، ثم أخبرته الخبر ؛ فقال لي : إني شاخص إلى المدينة . فقلت : نعم ، إني قد خلفت العيال على ما قد علمت . فدفعت إليهم مئتي دينار يوصلها إلى العيال . ثم خرجت من عنده ، فأتيت أصحابي بجميع ما كان معي من الكيس .

ثم صليت العصر ، فتهيأت بأحسن هيئة ؛ ثم حضرت إلى باب يحيى بن خالد ، فلما رأى الحاجب قام إلىّ ، فأذن لى ، فدخلت على يحيى ، فلما رأى فى تلك الحال ، نظرت إلى السرور فى وجهه ؛ فجلست فى مجلسى ؛ ثم ابتدأت فى الحديث الذى كان يذاكرنى به والجواب فيه . وكان الجواب على غير ما كان يجب به القوم ؛ فنظرت إلى القوم وتقطيهم لى وأقبل يحيى يسألنى عن حديث كذا وحديث كذا ، فأجيب فيما سألنى والقوم سكوت ، ما يتكلم أحد منهم بشىء .

فلما حضرت المغرب تقدم يحيى فصلى ، ثم أحضر الطعام فتمشينا ، ثم صلى بنا يحيى عشاء الآخرة ، وأخذنا مجالسنا ، فلم نزل فى مذاكرة ، وجعل يحيى يسأل بعض القوم فينقطع . فلما كان وقت الانصراف انصرف القوم وانصرفت معهم ، فإذا الرسول قد لحقنى ، فقال : إن الوزير يأمرك أن تصير إليه فى كل يوم فى الوقت الذى جئت فيه يومك هذا ، وناولنى كيسا . فانصرفت ومعى رسول الحاجب ، حتى صرت إلى أصحابى ، وأصبت سراجا عندهم ، فدفعت الكيس إلى القوم ، فكانوا به أشد سرورا منى .

فلما كان الغد ، قلت لهم : أعدوا لى منزلا بالقرب منكم ، واشتروا لى جارية ، وغلاما خبازا ، وأثانا ، ومتاعا . فلم أصل الظهر إلا وقد أعدوا لى ذلك ، وسألتهم أن يكون إفطارهم عندى ، فأجابوا إلى ذلك بعد صعوبة شديدة .

فلم أزل آتى يحيى بن خالد ، فى كل ليلة فى الوقت ، وكلما رأى ازداد سرورا . فلم يزل يدفع إلىّ كل ليلة خمس مئة دينار . حتى كان ليلة العيد ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، تزين غدا لأمير المؤمنين بأحسن

زى من زى القضاة ، واعترض له ، فإنه يسأني عن خبرك فأخبره . فلما كان صبيحة يوم العيد ، خرجت في أحسن زى ، وخرج الناس ، وخرج أمير المؤمنين إلى المصلى ، فجعل أمير المؤمنين يلحظني ، فلم أزل في الموكب . فلما كان بعد انصرافه ، صرت إلى باب يحيى بن خالد ، ولحقنا يحيى بعد دخول أمير المؤمنين منزله ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ادخل بنا . فدخلت ودخل القوم ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، مازال أمير المؤمنين يسأني عنك ، فأخبرته بخبر حجنا ، وأنتك الرجل الذي سارته تلك الليلة ، وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، وأنا ممتنجزها لك غدا إن شاء الله .

ثم انصرفت يومى ذلك ، فدخلت من القد على يحيى بن خالد ، فقلت : أصلح الله الوزير حاجة عرضت ، وقد قضيت على الوزير - أعزه الله - بقضائها . فقال لي : وما ذلك ؟ فقلت : الإذن إلى منزلى ، فقد اشتد الشوق إلى العيال والصبيان . فقال لي : لا تفعل . فلم أزل أنارله حتى أذن لي ، واستخرج لي الثلاثين ألف درهم . وهَيَّئْتُ لِي حَرَّاقَةَ^(١) بجميع ما فيها ، وأمر أن يشتري لي من طرائف الشام ، لأحمله معي إلى المدينة ، وأمر وكيله بأعراق أن يكتري لي إلى المدينة ، لا أكلف نفقة دينار ولا درهم . فصرت إلى أصحابي فأخبرتهم بالخبر ، وحلفت عليهم أن يأخذوا مني ما أصلهم به ، فحلف القوم أنهم لا يرزؤونني دينارا ولا درهما . فوالله ما رأيت مثل أخلاقهم ، فكيف ألام على حبي ليحيى بن خالد ؟ » .

وتدلنا هذه الكلمات الأخيرة على أن الواقدي لم يرو هذه القصة إلا بعد نكبة يحيى (١٨٧ هـ) ؛ لأنه لم يكن بحاجة للخوف من لومه على حب

(١) الحرقاة : نوع من السفن فيها مراعى نيران يرمى بها العدو في البحر - ح .

يحيى قبل هذه النكبة . ويتذكر الواقدي في موضع آخر هبات يحيى مع كل عرفان بحميلها .

ونذكر هنا مثالا آخر على استعداد يحيى للمساعدة ، حفظه أيضا تلميذه ابن سعد^(١) ، وبمكثنا في نفس الوقت من إلقاء نظرة على تصور الناس للصدقة في ذلك العصر :

« حدثني عبد الله بن عبيد الله ، قال : كنت عند الواقدي جالسا إذ ذكر يحيى بن خالد بن برمك ، قال : فترحم عليه الواقدي ، فأكثر الترحم ؛ قال : فقلنا له : يا أبا عبد الله ، إنك لتكثر الترحم عليه ؟ قال : وكيف لا أترحم على رجل أخبرك عن حاله : كان قد بقي على من شهر شعبان أقل من عشرة أيام ، وما في المنزل دقيق ، ولا سويق ، ولا عرّاض من عروض الدنيا . فميزت ثلاثة من إخواني في قلبي ، فقلت : أنزل بهم حاجتي . فدخلت على أم عبد الله ، وهي زوجتي ، فقالت : ما وراءك ، يا أبا عبد الله ؟ وقد أصبحنا وليس في البيت عرّاض من عروض الدنيا : من طعام ، أو سويق ، أو غير ذلك ؛ وقد ورد هذا الشهر ؟ فقلت لها : قد ميزت ثلاثة من إخواني أنزل بهم حاجتي . فقالت : مدنيون أو عراقيون ؟ قال : قلت : بعض مديني ، وبعض عراقي . فقالت : اعرضهم علي ، فقلت لها : فلان . فقالت : رجل حسيب ذو يسار ، إلا أنه متان ، لا أرى لك أن تأتيه ؛ فسمّ الآخر . فسميت الآخر ، فقلت : فلان . فقالت : رجل حسيب ذو مال إلا أنه بخيل . لا أرى لك أن تأتيه . قال : فقلت : فلان ، فقالت رجل كريم حسيب لاشي ، عنده ، ولا عليك أن تأتيه .

قال: فأتيته فاستفتحت عليه الباب، فأذن لي عليه. فدخلت فرحب وقرب، وقال لي: ما جاء بك أبا عبد الله؟ فأخبرته بورود الشهر وضيق الحال، قال: ففكر ساعة، ثم قال لي: ارفع ثني الوسادة، فخذ ذلك الكيس، فطهره واستنقه؛ فإذا هي دراهم مكحلة. فأخذت الكيس، وصرت إلى منزلي، فدعوت رجلا كان يتولى شراء حوائجي، فقلت: اكتب من الدقيق عشرة أقفزة، ومن الأرز قفيزا، ومن السكر كذا، حتى أقضى جميع حوائجي.

فبينما نحن كذلك إذ سمعت دق الباب، فقلت: انظروا من هذا؟ فقالت الجارية: هذا فلان بن فلان بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقلت: أئذني له. فقامت له عن مجلسي، ورحبت به وقربت، وقلت له: يا ابن رسول الله؛ ما جاء بك؟ فقال لي: يا عم، أخرجني ورود هذا الشهر وليس عندنا شيء. ففكرت ساعة، ثم قلت له: ارفع ثني الوسادة، فخذ الكيس بما فيه. فأخذ الكيس. ثم قلت لصاحبي: اخرج، فخرج. فدخلت أم عبد الله، فقالت لي: ما صنعت في حاجة الفتى؟ فقلت لها: دفعت إليه الكيس بأسره. فقالت: وقفت وأحسن.

ثم فكرت في صديق لي بقرب المنزل، فأتته وخرجت إليه. فدققت الباب، فأذن لي. فدخلت فسلمت على ورحب وقرب، ثم قال لي: ما جاء بك أبا عبد الله؟ فخبّرت بورود الشهر وضيق الحال. ففكر ساعة، ثم قال لي: ارفع ثني الوسادة؛ فخذ الكيس؛ فخذ نصفه وأعطنا نصفه. فإذا كيسي بعينه، فأخذت خمس مئة درهم، ودفعت إليه خمس مئة. وصرت إلى منزلي،

فدعوت الرجل الذي كان يلى شراء حوائجى ، فقلت له : اكتب خمسة أقمزة دقيق ... فكتب لى جميع ما أردت من حوائجى .

فبينما أنا كذلك إذا أنا بـدقيق يدق الباب ، فقلت للخادم : انظرى من هذا؟ فخرجت ثم رجعت إلى قفالت : خادم نبيل . فقلت لها : انذنى له . فنزل فإذا كتاب من يحيى بن خالد يسألنى المصير إليه فى وقته ذلك . فقلت للرجل : اخرج ، ولبست ثيابى ، وركبت دابتى ، ثم مضيت مع الخادم ؛ فأتيت منزل يحيى بن خالد رحمه الله ، فدخات عليه وهو جالس فى صحن داره ، فلما رآنى وسلمت عليه ، رحب وقرب ، وقال : يا غلام ، مرقة ، فقعدت إلى جانبه ، فقال لى : أبا عبد الله ، تدرى لى دعوتك ؟ فقلت : لا . فقال : أسهرتنى ليلتى هذه فكرة فى أمرى ، وورود هذا الشهر وما عندك . فقلت : أصلح الله الوزير ، إن قصتى تطول . فقال لى : إن القصة كلما طالت كان أشهى لها ، فخبرتة بحديث أم عبد الله ، وحديث إخوانى الثلاثة ، وما كان من ردها لهم ، وخبرتة بحديث الطالبى ، وخبير أخى الثانى المواسى له بالكيس ، فقال : يا غلام ؛ دواة . فكتب رقعة إلى خازنه ، فإذا كيس فيه خمس مئة دينار ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، استعن بهذا على شهرى . ثم رفع رقعة إلى خازنه ، فإذا صرة فيها مئتا دينار . فقال : هذا لأم عبد الله لجزالتها وحسن عقلها ؛ ثم رفع رقعة أخرى ، فإذا مئتا دينار ، فقال هذا للطالبى . ثم رفع رقعة أخرى فإذا صرة فيها مئتا دينار ، فقال : هذا للمواسى لك . ثم قال لى : انهض أبا عبد الله فى حفظ الله . قال : فركبت من فورى ؛ فأتيت صاحبى الذى واسانى بالكيس ؛ فدفعت إليه المئتى دينار . وخبرتة بخبير يحيى

ابن خالد ، فكاد يموت فرحا ؛ ثم أتيت الطالبى ، فدفعت إليه العشرة ؛ وأخبرته بنجر يحيى بن خالد ، فدعا وشكر ؛ ثم دخلت منزلى ، فدعوت أم عبد الله ، فدفعت إليها الصرة ، فدعت وجزت خيرا . فكيف ألام على حب البرامكة : يحيى بن خالد خاصة ؟ .

ويروى المسمودى^(١) ، وياقوت^(٢) ، وابن خلكان^(٣) نفس القصة مع بعض اختلافات ؛ فهم يقولون : إنها حدثت في عهد الخليفة المأمون ، ولكن خبر ابن سعد يَرض أقدم حديث مروى عن الواقدى نفسه .

وتقول رواية لا يُعرف راويها^(٤) : إن هارون الرشيد عين الواقدى قاضيا على الجانب الشرقى من بغداد ، ويظهر من خبر آخر أنه كان قاضيا في عام ١٨٧ هـ : أى في عهد هارون^(٥) . ولا تعرف أقدم التراجم شيئا من ذلك ، ولا تذكر إلا أن المأمون عين الواقدى قاضى عسكر المهدي أو الرصافة^(٦) (فى الجانب الشرقى من بغداد^(٧)) بعد دخوله (الواقدى) بغداد فى أوائل عام ٢٠٤ هـ^(٨) ، وكان المأمون يثق به . ويروى أنه حين

(١) صروج ، طبع القاهرة ٢ : ٢٦٢ . (٢) ت . مرجليوت ٧ : ٥٥ .

(٣) طبع بولاق ١ : ٦٤٠ وما بعدها (٤) ياقوت ، مرجليوت ٧ : ٥٦ .

(٥) ابن حجر ٩ : ٣٦٤ .

(٦) الطبرى ٣ : ١٠٣٧ . (٧) ياقوت ، ت . وستنفلد ٣ : ٦٧٧ .

(٨) ابن سعد ٥ : ٣١٤ ، ٧ : ٧٧ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٨ ؛ ياقوت ،

ت . مرجليوت ٧ : ٥٥ ؛ السمعانى ٥٧٧ . لا يقول ابن قتيبة ، كما يدعى ابن خلكان

١ : ٧٢٣ ، أن الواقدى كان قاضيا على الجانب الغربى من بغداد ، وإنما يقول إن

قاضى الجانب الغربى من المقابر صلى عليه . ابن سعد ٥ : ٣٢١ .

تقدم منه ليسأله قضاء ديونه^(١) - التي كان سخاء الواقدي يوقعه فيها على الدوام^(٢) - كتب الخليفة على هامش الرقعة : « فيك خلتان : سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ماملكت ، والحياء حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك ؛ وقد أمرنا لك بضعف ما سألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك ، فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك ، فإن خزائن الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة ، وأنت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال للزبير : يا زبير، إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، يُنزل الله - سبحانه - للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قل قل عليه . قال الواقدي : وكنت نسيت الحديث ، وكان تذكيره لي به أعجب من صلته .

وتوفي الواقدي في خلافة المأمون ، وقد عهد إليه الواقدي في تنفيذ وصيته^(٣) في أواخر عام ٢٠٧ هـ ، وله من العمر ٧٨ عاما ، ودفن في مقابر الخيزران^(٤) .

وكان الواقدي مشغوبا بجمع المعارف المنتشرة في عصره ، فنسخ

(١) ابن حجر ٩ : ٣٦٥ : وكان جوادا كريما مشهورا بالسخاء .

(٢) ياقوت ، ت . مرجليوث ٧ : ٥٦ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣٢١ : وأوصى محمد بن عمر إلى عبد الله بن هارون

أمير المؤمنين فقبل وصيته ، وقضى دينه .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣٢١ ، ٧ : ٧٧ ؛ ابن قتيبة : ٢٥٨ ؛ الفهرست ٩٨ .

جميع الكتب التي أمكنه الحصول عليها . ويروى أنه خلف بعد وفاته ست مئة قَمَطَرٍ كتب^(١) ، من نسخ غلامين مملوكين كانا يكتبان الليل والنهار . أضف إلى ذلك أنه اشترى كتباً بألفي دينار . وكانت هذه الكتب أساس نشاطه الأدبي الخاص ، الذي شمل ميادين مختلفة . ويَحْوِي الفهرست قائمة بمؤلفاته تتكون من ٢٨ كتاباً^(٢) ، ويعطينا ياقوت في « معجم الأدباء » قائمة توافقها في الأمور الجوهرية^(٣) . وهالك أسماء هذه الكتب :

(أ) كتب في الفقه ، والقرآن ، والحديث ... الخ

(١) كتاب الاختلاف : اختلاف آراء فقهاء المدينة والكوفة في الشُّفْعَة ، والصدقة ، والرُّقْبِي ، والأبواب الأخرى من الفقه^(٤) .

(٢) كتاب غلط الحديث .

(٣) كتاب السنة والجماعة وذم الهوى^(٥) .

(٤) كتاب ذكر القرآن .

(٥) كتاب الأدب .

(٦) كتاب الترغيب في علم القرآن^(٦) .

(ب) الكتب التاريخية :

(٧) التاريخ الكبير .

(١) الفهرست ٩٨ . (٢) ت . فلوجل ٩٨ .

(٣) ٧ : ٥٨ . (٤) وذكر الفهرست أبواباً أخرى .

(٥) يضيف الفهرست : وترك الخوارج في الفتن .

(٦) في الأصل : الترغيب في علم القرآن وغلط الرجال .

(٨) التاريخ والمغازي والبعث .

(٩) أخبار مكة .

(١٠) أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

(١١) وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٢) السَّقِيفَة وبيعة أبي بكر .

(١٣) سيرة أبي بكر ووفاته .

(١٤) الرّدة والدار .

(١٥) السّيرة .

(١٦) أمر الحبشة والفيل .

(١٧) حرب الأوس والخزرج .

(١٨) المناكح^(١) .

(١٩) يوم الجمل .

(٢٠) صِفِّين .

(٢١) مولد الحسن والحسين .

(٢٢) مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ^(٢) .

(٢٣) فتوح الشام .

(٢٤) فتوح العراق .

(١) قد يكون كتابا عن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء ، ولكن لا بد أن

يكون رسالة تاريخية مادام ياقوت وضعه بين الكتب التاريخية .

(٢) يذكر الفهرست أيضا كتابا يسمى « مقتل الحسن » .

- (٢٥) ضرب الدنانير والدرام .
(٢٦) مراعى قریش والأنصار فى القطائع ، ووضع عمر الدواوين .
(٢٧) الطبقات .
(٢٨) تاريخ الفقهاء^(١) .

ويذكر ابن سعد^(٢) أيضا ، بالإضافة إلى الكتب المسماة فى هذه القاعة ، « كتاب طعم النبى » ، ومن الواضح أنه يتناول الدخل المفروض لأزواج النبى وأشخاص آخرين من أرض خيبر ؛ وربما لا يكون غير فصل من « المراعى » ، ولهذا السبب لم يذكر فى الفهرست ولا عند ياقوت . ويعالج كتابان من الكتب التاريخية (السادس عشر والسابع عشر ، وربما التاسع أيضا) موضوعات من التاريخ الجاهلى لمكة والمدينة ؛ وتتناول أربعة (٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥) تاريخ النبى أونواحى خاصة منه ، أما الكتب الباقية فتتناول أجزاء من تاريخ الإسلام بعد وفاة النبى . وقد حُفِظت مقتطفات من كثير من هذه الكتب عند مؤرخين مختلفين ، ولدينا من « كتاب الردة والدار » للواقدى عدة مقتطفات فى « كتاب غزوات » ابن حُبَيْش (المتوفى عام ٥٨٤ هـ) الذى لم يطبع بعد ، وأكثَرَ « ليون كيتانى » دوق سرمونت « من استخدامه فى كتابه « حوليات الإسلام » فى فصل الردة - أى ثورة القبائل العربية بعد وفاة النبى . وكان كتاب الواقدى هذا

(١) يزيد الفهرست فى النهاية : وتصانيف القبائل ومراتبها وأنسائها .

(٢) ٨ : ٣٢ .

مشهورا في أسبانيا سابقا، ويُذكر مثلا في فهرسة ابن خير^(١) (المتوفى عام ٥٧٥هـ). ويسمى هناك « كتاب الردة » ، على حين يظهر في الكتب الأخرى تحت عنوان « كتاب الردة والدار » . ومن المحتمل أنهم يعنون بالدار « يوم الدار » ، وهو ما يعبرون به عادة عن يوم مقتل الخليفة عثمان . وليس من الواضح لدينا كيفية معالجة الواقدي للردة في عام ١١هـ مع يوم الدار في عام ٣٥هـ في كتاب واحد . وربما كانا كتابين مستقلين في الأصل ، ضما خطأ في كتاب واحد فيما بعد^(٢) ؛ وتوجد عدّة أخبار للواقدي عند الطبري^(٣) ، ويظن أنها من « كتاب الدار » .

ومن الواضح أن « التاريخ الكبير » كان كتابا حُصرت فيه جميع أحداث التاريخ الإسلامي الهامة على حسب سني وقوعها ، ووصل فيه إلى عام ١٧٩هـ على الأقل^(٤) وقد حفظ الطبري قطعا عديدة من « التاريخ » الذي يبدو أن الواقدي أتمه قبل إقامته في بغداد .

ويزودنا « كتاب الطبقات » للواقدي - وكان الواقدي أول من ألف مثل هذا الكتاب بعد المهيم بن عدي^(٥) - بأساس كتاب تلميذه ابن سعد المماثل ، ويظهر من الأخير أن الواقدي وجه أكثر عنايته إلى طبقات الصحابة وسُلالاتهم في المدينة ، وإلى طبقات محدثي الكوفة والبصرة ،

(١) المكتبة الأندلسية ٦ : ٢٣٧ .

(٢) كيتاني : حوليات الإسلام Annali dell' Islam سنة ١١ § ٧٠ .

(٣) الطبري : ١ : ٢٩٤١ - ٣٠٦٠ . (٤) الطبري ٣ : ٦٣٩ .

(٥) Loth في مجلة جماعة المستشرقين الألمان ، المجلد ٢٣ ، ص ٦٠٣ .

وإن كان ينقصه بعض النظام^(١) . وهكذا يمكننا أن ننظر إلى « كتاب الطبقات » للواقدي على أنه تكملة لكتبه الأخرى المخصصة لحياة النبي . واستخدم ابن سعد من هذه الكتب ، الكتب التي تتناول أزواج النبي ووفاته في الفصول الموافقة لها من كتابه . واستخدم فصلا آخر يورد فيه رسائل النبي مجتمعة ، ولكنه غير مذکور مثل الكتب المستقلة ، ولعله فصل من السيرة^(٢) وكذلك يوجد كثير من « سيرة » الواقدي أو « كتاب البعث » الذي من الواضح أنه يتناول الفترة منذ بعث النبي إلى هجرته إلى المدينة ، يوجد كثير منهما في المواضع الأخرى من ابن سعد . ويذكر ابن سعد الواقدي مرة أو مرتين ، على أنه روى تاريخ أهل الكتاب ، ولكن يظهر أن الواقدي لم يعط ذلك التاريخ أهمية كبيرة ؛ ويظهر الواقدي كثيرا أيضا في رُواة حوادث العهد المسكي .

ولم يبق لنا من جميع كتابات الواقدي كتاب هام كامل غير « كتاب المغازي » . وقد نشر ألفريد فون كريمر Alfred Von Kremer الثالث الأول منه في « المكتبة الهندية » عن مخطوط غير كامل وجدته في دمشق^(٣) .

(١) لث : نفس المرجع ٦٠٤ ، ٦٠٧ الملاحظة ٤ ، ابن سعد ٥ : ٣١٤ . ويعطينا الواقدي تاريخ وفاة محدث مات في المدينة عام ١٨٦ هـ . وربما أكل هذا الكتاب في المدينة ، وقد أضيفت إليه إضافات في بغداد فيما بعد .

(٢) لمعرفة الصلة بين هذا الباب من كتاب ابن سعد وبين الواقدي انظر « بانث » D.H.Baneth . إضافات لتقد كتابات محمد ومعانيها اللغوية (مقالات مختارة برلين ١٩٢٠) .

(٣) مغازي الواقدي تحقيق ألفريد فون كريمر ، كلكتا ١٨٥٦ ، ولا يصل كتاب الواقدي إلا إلى الصفحة ٣٦٠ ، السطر ١٠ ، أما ما يلي ذلك فأخوذ من كتاب متأخر وكذلك لا يرجع للواقدي ابتداء من الصفحة ١ ، السطر ٩ إلى الصفحة ٩ ، السطر ٢ .

وتوجد مخطوطة أخرى ناقصة ؛ وثالثة كاملة في المتحف البريطاني ، ويعتمد الموجز الألماني الذي نشره يوليوس وهوزن Julius Wellhausen باسم « محمد في المدينة » على هذه المخطوطات . ويعد أوجست فيشر August Fischer نسخة كاملة من النص العربي في ليزج^(١) .

ويذكر الواقدي في بداية « كتاب المغازي » قائمة بمن أكثر عنهم الرواية ، تتألف من خمسة وعشرين اسما ، ويذكر تلميذه ابن سعد أيضا أحد عشر منهم بأنهم رواة الواقدي الرئيسيون في « المغازي^(٢) » . ويبدو من هذه القائمة ، التي علق عليها سخاو Sachau^(٣) بالتفصيل ، أن الواقدي لا بد أنه شرع يجمع مادته في زمن مبكر ، لأن بعض هؤلاء الرواة المباشرين مات بعد عام ١٥٠ هـ بزمن قليل ، أي حين كان الواقدي في الخامسة والعشرين أو أصغر ؛ وجميع هؤلاء الرواة تقريبا من أهل المدينة أو عاشوا هناك ؛ ولذلك يمكن اعتبار الواقدي ممثلا للمدرسة المدنية . ولكن القائمة المذكورة في بداية الكتاب لا تشمل جميع من روى عنهم الواقدي مباشرة ، وإنما الذين تعتمد عليهم روايته الرئيسة فقط . وقد أدخل في كثير من الأحيان روايات فردية كان يذكر إسنادها الخاص في كل مرة . ويشمل فهرست الرواة الذي أضافه وهوزن لترجمته ، جميع الرواة

(١) ت . كريم رقم ١ السطر ٩ إلى ٢ سطر ٦ .

(٢) ابن سعد ٢ : ١ السطور ٣ - ١٠ . توجد القائمة المكونة من ستة أسماء ممن روى للواقدي مغازي النبي في ابن سعد ١ ، ق ٢ : ١٥ ؛ أما التي تتكون من ٨ أسماء من رواة الرئيسيين في الطبقات فتوجد في نفس المرجع ٣ : ١ .

(٣) دراسة رواية تاريخ العرب القدماء ٢١ .

الذين ذكروهم الواقدي ؛ ويبرز من بين هؤلاء الرواة المباشرين وغير المباشرين مؤلفو المغازي الذين ذكرناهم آنفا : الزهري ، ومعمر ، وأبو معشر ، وكذلك موسى بن عقيب ، وإن كان أقل منهم ؛ أما ابن إسحاق فلا يذكره أبدا . وتستحق هذه الظاهرة عناية خاصة ، لأن الواقدي في الترجمة الموجودة في الطبري^(١) ، يصرح بإعجابيه العظيم بابن إسحاق ، يقول : « وكان من أهل العلم بالمغازي - مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ، راوية لأشعارهم ، كثير الحديث ، عزيز العلم ، طلبة له ، مقدما في العلم بكل ذلك ثقة » . ولا يمكن الشك في أن الواقدي استخدم كتاب ابن إسحاق^(٢) ؛ وأعله أخذ منه أكثر من أي شخص آخر ممن تقدمه ، ومن الممكن أن يكون ذلك سبب عدم ذكره ، لأنه لم يرغب في جعل ما أخذه واضحا بارزا بالإكثار من ذكر اسمه ، وأرضى نفسه بضمه إلى تلك المراجع غير المذكورة التي يقول عنها في نهاية قائمته . « وغيرهم قد حدثني أيضا » .

ولكن الواقدي استخدم إلى جانب ابن إسحاق ، جميع المراجع الأخرى التي أمكنه الحصول عليها بأية طريقة ، ويقدم قدرا كبيرا غير موجود عند ابن إسحاق على الإطلاق ، أرغى أي حال لم يروه نفس رواة الواقدي في كتابه . و« كتاب المغازي » أغنى في أخبار الفترة المدنية من كتاب ابن إسحاق ، وإن كان لا ينطوي قسط من هذه الأحاديث تحت التاريخ ،

(١) الطبري ٣ : ٢٥١٢ .

(٢) توجد الأدلة عند وهوزن ١٢ وما بعدها ، وانظر هوروقنس : حول مخطوطة

كتاب المغازي للواقدي (برلين ١٨٩٨) ص ٩ وما بعدها .

وإنما تحت الحديث الفقهي . فيقترب كتاب الواقدي من هذه الناحية من مجموعات الحديث . والواقدي يربط الحديث بالآخر ببساطة دون أن يحاول ربطهما بالإضافات أو النظرات الخاصة ، كما يفعل ابن إسحاق في عامة الأمر .

ويكثر الواقدي أيضا من الاستشهاد بالقصائد ، وإن كانت هذه القصائد في الحقيقة غير موجودة في المخطوطات التي وصلت إلينا ، إما لأن الواقدي نفسه لم يدخلها في تلك المناسبة ، وإما لأن أحد رُواة كتابه تركها . وحتى إذا عثرنا على جميع القصائد المذكورة ، فإنها لا تبلغ قدر ما استشهد به ابن إسحاق .

ويستخدم الواقدي ، إلى جانب كتابات من تقدمه^(١) ، المراجع الأصلية أيضا ، متابعا للنصوص التي ذكرها المتقدمون أحيانا ، والأصول التي اختبرها بنفسه أحيانا أخرى^(٢) . فيدون الواقدي في « كتاب المغازي » بعض أوامر النبي ومماهداته ، ويعتمد الفصل الذي خصصه ابن سعد لرسائل النبي أكثر اعتماده على مجموعة الوثائق التي جمعها الواقدي على أساس جهود من تقدمه .

ويتبع الواقدي خطة ثابتة في عرضه للمغازي : فيبدأ بذكر عام خروج

(١) يقول (ابن سعد ١ : ٣٩) الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر الزهري قال : وجدت في كتاب أبي بكر بن عبد الرحمن بن السور . . . الخ ؛ نفس المرجع ٢ : ٦٩ : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : وجدت هذا في صحيفة بخط أبي فيها . . . الخ .

(٢) وكذلك يقول الواقدي في ابن سعد ١ : ٢ : ٣٧ : قال محمد بن عمر : نسخت كتاب أهل أذرب ، فإذا فيه . . . الخ .

الغزوة من المدينة ورجوعها ، ويتبعه بأخبار الغزوة - ويتألف العرض في الفصول الطويلة من خبر رئيس واحد مكوّن من كثير من الروايات الفردية التي يضيف إليها أخباره الخاصة - ويذكر في النهاية ، في غالب الأحيان ، نائب النبي على المدينة في غيابه ، وبعض الأشعار والآيات التي تحتوي على إشارات للحادث الذي يعالجه ، وقوائم ... الخ .

ولا يتكلم الواقديّ عن نفسه في كتابه إلا نادرا ، اللهم إلا في الإسناد « وحُدِّثت كذا وكذا » . ومع ذلك ، ليس الواقديّ جامعا ومنظما من الدرجة الأولى للمادة التي يرويها له الآخرون بحسب ، فهو يفوق من تقدمه في تحديد تواريخ الحوادث ، وليس تاريخه^(١) مجرد تكرار لحقائق معروفة من قبل ، وإنما ثمرة بحث مستقل . أضف إلى ذلك أن الواقديّ دون ملاحظاته الخاصة على أصول الأحاديث ، وقد حفظ ابن سعد^(٢) مقالا طويلا شاملا من الواقديّ ، يقرر فيه رأيه دون أن يثير أي راو مهما كان ، ولا يستثنى من ذلك في النادر إلا الكاتب الذي قلما يروي أخبارا مفصلة ، دون أن يذكر الإسناد الصحيح . وذلك بالطبع بغض النظر عن تفاصيل الترجمة الأصلية المذكورة سابقا .

وعلى حين يرفض المحدثون^(٣) الواقديّ ، فإنه يوثق به في السيرة

(١) وله وزن ١٥ .

(٢) ابن سعد ٢ ق ٢ : ١٢٦ ، الأسطر من ٢٥ إلى ١٢٨ والسطر ١٢ .

(٣) انظر الأحكام في ابن حجر ٩ : ٣٦٣ وما بعدها ؛ ياقوت : معجم الأدباء .

والمغازي ، والفتوح ، والفقهاء^(١) . ولكن عنايته الحقيقية بالتاريخ لا تبدأ إلا بظهور الإسلام ، فهو بخلاف ابن إسحاق لا يوجه كبير عناية إلى الفترة الوثنية السابقة عليه ، وأقل من ذلك أيضاً عنايته بتاريخ الرسالات قبل الإسلام كما يبدو . ويقول إبراهيم الخليلي^(٢) : « كان الواقدي أعلم الناس بأمر الإسلام ، وأما الجاهلية فلم يعلم منها شيئاً » .

ويوصف الواقدي في « الفهرست^(٣) » بالتشيع ، ولكنه كان من المتشيعين المعتدلين . ويستشهد على ذلك بقوله الذي يرى فيه أن علياً كان إحدى معجزات النبي ، كما كانت العصا التي تحوت إلى حياة إحدى معجزات موسى ، وكما كان إحياء الموتى من معجزات عيسى . ولكن الأمر الجدير بالملاحظة أن الواقدي إما أنه لم يقل مثل هذه الأقوال المناصرة لعلي ، التي نجدها عند ابن إسحاق ، وإما أن يكون اقتبسها بشكل ملطف فقط . وكذلك لا توجد عند الواقدي عبارة النبي لعلي ، التي ذكرها ابن إسحاق : « أولاً ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟^(٤) » والعبارة التي قالها النبي عند بعث سورة براءة ، والتي رواها ابن إسحاق : « لا يؤدي

(١) ابن سعد ٥ : ٣١٤ ؛ ياقوت : نفس الموضع .

(٢) ابن حجر ٩ : ٣٦٥ . (٣) ت . فلولج ٩٨ : وكان يتشيع

حسن المذهب . . . وهو الذي روى : أن علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، كالعصا لموسى صلى الله عليه ، وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم عليه السلام ، وغير ذلك من الأخبار .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٦٣ والواقدي ، وهو وزن ٣٩٣ .

عنى إ لرجل من أهل بيتى^(١) » ويدهشنا مثل هذا الحذف أو التغيير لأحاديث فى صالح على من مؤلف يوصف بالتشيع ، وربما كان تفسير ذلك فيما أضافه مؤلف الفهرست حين يقول : إن الواقدى كان يلزم التقيّة^(٢) ، أى أنه كان يكتم ميله للتشيع . ويكشف الواقدى فى المواضع الأخرى عن عدم تحيزه بذكره الأقوال التى فى جانب على والتى عليه ؛ مثل ذكره الخبر القائل بوفاة النبي فى حجر عائشة ، والخبر القائل بوفاته فى حجر على^(٣) . أضف إلى ذلك أن مؤلف الفهرست هو المؤلف الأول كما يبدو ، والوحيد الذى يصف الواقدى بالتشيع ، حتى « كتب الرجال » عند الشيعة لا تذكره .

وقد عاش الواقدى ، كما رأينا ، فى رضا الخلفاء العباسيين : ومن الواضح أن احترام البيت الحاكم هو سبب حذفه اسم العباس من قائمة خصوم النبي المأسورين فى بدر ، ووضع « فلان » بدلا من اسم العباس فى قائمة الذين أمدوا جيش قريش بالمؤن (المطعمين^(٤)) . وكذلك ذكر

(١) ابن هشام ٤ : ١٩٠ ، والواقدى ؛ ولهوزن ٤١٦ ؛ والملاحظة على ابن

سعد ٢ : ١٢٧ .

(٢) ٩٨ .

(٣) ابن سعد ٢ ق ٢ : ٥٠ ، الأسطر من ١٢ إلى ٥١ ، والأسطر ٢٤ .

(٤) ت . كريم : ١٤٠ ؛ يذكر الواقدى فى خبر موجود عند ابن سعد ٦:٤

أسر العباس . وانظر أيضا تولدكه فى « مجلة جامعة المستشرقين الألمان » المجلد ٥٢ ، الصفحة ٢١ وما بعدها .

الواقدي الرواية القائلة بأن العباس كان في صدر قاعة العطاء التي كتبها عمر^(١)، إرضاء للبيت الحاكم.

محمد بن سعد

آخر جماعى المغازى الذين نذكركم هنا محمد بن سعد المعروف بكتاب الواقدي، الذى حقق كتابه أدورد سخاو Eduard Sachau مع عدد من زملاء^(٢) والذى ألف رسالة عنه أتوثت Otto Loth فى عام ١٨٦٩^(٣).

وقد وُلد محمد بن سعد بن منيع فى البصرة عام ١٦٨ هـ^(٤)، ثم أقام فى المدينة وأما كن أخرى، ونجده هناك فى عام ١٨٩ هـ^(٥). وعندما يوصف بأنه مولى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس^(٦)، لايعنى ذلك أنه هو نفسه كان مولى الحسين، وإنما جده، وربما أبوه أيضا؛ لأن الحسين توفى عام ١٤٠ أو ١٤١ هـ^(٧). ويتضح من قول ابن سعد إن ذلك الفرع من البيت العباسى انتهى بالحسين^(٨)، أن ابن سعد نفسه لم يعد يرتبط أى نوع من الارتباط بذلك الفرع. ويطلق على ابن سعد فى بعض

(١) ابن سعد ٤ : ٢١ ؛ وكتاتى : حوليات ، السنة ٢٠ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤١ .

(٢) ابن سعد : تراجم محمد والصحابه والتابعين حتى عام ٢٣٠ هـ ، ١٩ مجلدا ، بريل E. I. Brill ، ليدن ١٩٠٤ - ٢٨ . (٣) طبقات ابن سعد ، ليزج .

(٤) ابن سعد ٧ : ٩٩ . (٥) نفس المرجع ٥ : ٣١٤ ؛ ولكنه (أبا علقمة الفراوى) عمر حتى لقيناه سنة تسع وثمانين ومئة بالمدينة .

(٦) ابن سعد ٧ و ٢ : ٩٩ ؛ البلاذرى : فتوح ٣١٢ يذكر أنه مولى بنى هاشم .

(٧) ابن حجر ٢ : ٣٤٢ . (٨) ابن سعد ٥ : ٢٣١ .

المراجع لقب الزهري^(١) ، مما يجعلنا نظن أنه هو نفسه ، أو أبوه قبله ،
انتسب إلى بني زهرة من قريش . واشتدت الصلة بينه وبين الواقدي
في بغداد ، وألف كتبه من تصنيفات الواقدي ، كما يقول مؤلف الفهرست^(٢) .
ولا يذكر جامع الفهرست من كتابات ابن سعد غير « كتاب أخبار النبي »
ويبدو أن هذه السيرة وحدها كتبها ابن سعد بالصورة التي شاعت بها فيما
بعد ، ورواها لتلاميذه ليرووها عنه ؛ على حين حفظت « الطبقات » بصورتها
المعروفة للمرة الأولى على يد الحسين بن فهم (٢١١ - ٢٨٩ هـ) . وجمع
ابن معروف الكتابين في كتاب واحد^(٣) ، تولى سيرة النبي الجزء الأول
منه ، حوالي عام ٣٠٠ هـ .

و « أخبار النبي » وهي المجلد الأول من القسم الأول ، والثاني من
القسم الأول والثاني في نسخة برلين ، لها فصل تمهيدى يتناول تاريخ
الأنبياء السابقين ، ويضاف إليه تاريخ أجداد محمد . ويلى ذلك
عرض قصة طفولة محمد والأعوام التالية حتى بعثته ، يذكر فيه فصلين
عن علامات نبوة محمد قبل الوحي الأول وبعده . ثم يسرد الحوادث منذ
أول دعوة إلى الإسلام حتى الهجرة . ويعالج الجزء الثاني من المجلد الأول
العهد المدني ، ويفصل أوامر النبي خاصة ، ووفود العرب عليه ؛ وأخلاقه ،
وطريقة حياته وما يختص به . ويخصص الجزء الأول من المجلد الثاني
لفزوات النبي ، أى المغازى بالمعنى الخاص . ويبرز الجزء الثاني من المجلد

(١) ابن خلكان ١ : ٦٤١ . (٢) ت . فلوجل ٩٩ .

(٣) ل : الطبقات ٢٥ وما بعدها .

الثاني خاتمة سيرة النبي في فصول مفصلة عن مرض النبي، ووفاته، ودفنه، وميراثه، ومجموعة من مراثيه أيضا. أما مايلي ذلك في هذا المجلد - وهي أخبار عن أبرز الفقهاء في المدينة - فهو المدخل إلى « الطبقات » ولا تتصل فيما عدا ذلك بحياة النبي الفعلية، التي يشار بوضوح إلى نهايتها بالعبارة: « آخر أخبار النبي » التي تقف قبل بداية هذه الضميمة.

ويُعد ابن سعد أول مؤلف بعد ابن إسحاق، وصلت إلينا منه ترجمة كاملة للنبي، مادامنا لا نملك غير مغازي الواقدي كتابا مستقلا كاملا. ويعطينا ابن سعد في بعض المواضيع تفاصيل أوفى من ابن إسحاق، كما في الفصول الخاصة بأخلاق النبي وعاداته، والخاصة برسائله وسفاراته، والخاصة بمرضه ووفاته؛ على حين يمرُّ مرًّا الكرام على الأمور الأخرى، التي تشغل مساحة كبيرة عند ابن إسحاق، مثل ماضي بلاد العرب الجاهلي الذي لا يتصل بأجداد النبي المباشرين. وعُنِيَ ابن سعد أحيانا بالتنظيم المهجى لمواده؛ ويبدو أنه أول من جمع « علامات النبوة » معا، ذلك العمل الذي اتبعته فيما بعد الكتب المتأخرة عن « دلائل النبوة »، كما كان فصله عن « صفة أخلاق رسول الله » سبب وجود أدب « الشمائل » فيما بعد^(١).

وتعتمد « أخبار النبي » لابن سعد اعتمادا شديدا على المادة التي جمعها

(١) نولدكه - شولى : تاريخ القرآن ٢ : ١٣٥ .

أستاذة الواقدي . ومن الحق أنه لا يذكره في تاريخ أهل الكتاب إلا نادرا^(١) ، أما روايته الرئيسية في ذلك فهو هشام بن محمد بن السائب الكلبي . أما الواقدي فهو روايته الرئيسية في تاريخ الفترة المكية من حياة النبي ، وإن كان ابن سعد يوسع قصصه في الغالب بالروايات التي يأخذها عن الرواة الآخرين . وكذلك الواقدي هو روايته الرئيسية في الفصول الخاصة بأنواع نشاط النبي في المدينة ، وابن سعد يكل رواياته هنا أيضا بالروايات الأخرى . ومن جهة أخرى يبرز ابن سعد على الواقدي في فصوله عن صفة أخلاق النبي ، ولا يذكره إلا نادرا . ويصدر ابن سعد^(٢) أخباره عن المغازي الفعلية بقائمة تحوي أهم رواياته ، ويذكر الواقدي على أنه روايته المباشر ، وزعيم بن يزيد ، الذي روى له أخبار ابن إسحاق ، وحسين بن محمد ، الذي روى له أخبار أبي معشر ، وإسماعيل بن عبد الله ، الذي روى له أخبار موسى بن عقبة . إذن فإن ابن سعد يقودنا إلى آثار أعلم من تقدمه ، ويعتمد وصفه للمغازي الفعلية عليهم بصفة رئيسية ، وإن كانت مقابلته بنص «مغازي» الواقدي ترينا أن ابن سعد اعتمد على الواقدي أكثر من غيره ؛ وعلى ابن إسحاق ، وأبي معشر ، وموسى بن عقبة ، بدرجة أقل كثيرا . ويمدنا ابن سعد في كل من هذه الفترات بوصف رئيس دون أية إشارة إلى مرجع ، مادام قد ذكر الرواة مرة واحدة في بداية المغازي ،

(٢) نفس المرجع ٢ : ١

(١) ابن سعد ١ : ٢١ ، ٢٢

ثم يوسع هذا الوصف الرئيس بالروايات الفردية الكثيرة جدا في كثير من الغزوات ، ويقدم كل رواية منها بإسناد خاص . وهكذا يقف ابن سعد من الواقدي في المغازي ، موقف الواقدي من ابن إسحاق . ولكن على حين لا يذكر الواقدي ابن إسحاق أبدا ، نجد ابن سعد لا يخفى أن كتاب الواقدي أساس كتابه الخاص . وعلينا أن نعرف مقدما أن ابن سعد ليضمن نقاء عرضه ، لا يقطع وصفه الرئيس أوقسته الأساسية أبدا بالإضافات التي جمعها بنفسه ، كما يفعل الواقدي ، ولكنه يضع هذه المادة المضافة في نهاية القصة الأساسية في كل حالة . وكمل ابن سعد أخبار الواقدي منهجيا في إحدى الحواص ، وهي إجابته في كل غزوة عن الأسئلة التالية :

من الذي تركه النبي حاكما على المدينة في أثناء غيابه ؟ ومن حمل اللواء ؟ .

حقا إن الواقدي وجه عنايته إلى تلك الأسئلة ، ولكنه لم يجب عنها في كل حالة . وقد تعب ابن سعد تعباً شديداً في جمع الأخبار الخاصة بمرض النبي الأخير ووفاته ؛ ويظهر الواقدي راويته هنا أيضا في أغلب الأحيان ، ومن الواضح أن ابن سعد استخدم « كتاب وفاة النبي » للواقدي ، ولكنه وسَّعه توسيما عظيما جدا .

ولم يأت ابن سعد في كتابه بملاحظات شخصية قط ، وقلما يوجد قول دون الإشارة إلى المرجع الذي أخذ عنه ، فيما عدا بعض الأقوال المتصلة بالقصة . ويذكر إلى جانب هذه الأخبار التي استعارها من تقدمه ،

النص الكامل لكثير من الوثائق الأصلية ، وليست القصائد التي استشهد بها ، وخاصة المراثي ، بقليلة على الإطلاق . ولكنه في هذه الناحية متخلف عن الواقدي ، ولا يمكن ذكره مع ابن إسحاق . ويصدر ابن سعد « الطبقات » الخاصة ، التي تبدأ بالمجلد الثالث من نسخة سخاو ، بقائمة عن رواة الأساسيين ، ويظهر فيها إلى جانب الواقدي ، ابن إسحاق ، وأبو معشر ، وموسى بن عقبة ، الذين أخذ أقوالهم عن طريق تلاميذهم المباشرين أو غير المباشرين . ويذكر هنا أيضا من رواه معن بن عيسى المدني (المتوفى عام ١٩٨ هـ) والفضل بن دُكين الكوفي (المتوفى عام ٢١٩ هـ) وهشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي (المتوفى عام ٢٠٤ هـ) الذي كان أبوه محمد أشهر النسابين . ولكن ابن سعد يلتزم غالبا في نسب الأنصار راوية آخر ، هو عبد الله بن محمد بن عمار الأنصاري ، مؤلف « كتاب نسب الأنصار »^(١) ، وأعله هو عبد الله بن محمد بن عمار بن القداح المذكور في « ميزان » الذهبي ، والذي لا نعرف عنه شيئا آخر .

وتكوّن « الطبقات » تكملة غنية لسيرة النبي مادامت تشير إلى أصحابه من الرجال والنساء - والمجلد الثامن من الكتاب مخصص لهؤلاء النساء - الذين اشتركوا في حياة النبي العامة والخاصة ، أو الذين رووا

(١) انظر سخاو في مقدمة المجلد الثالث من ابن سعد ص XXVII ؛ وهوروفتس في مقدمة المجلد الثالث من ابن سعد ص ٥ وما بعدها ؛ سخاو : دراسات ٣٢ وما بعدها ، دي غويه في « مجلة جامعة المستنصرية في الألمان » المجلد ٥٧ ، الصفحة ٣٧٩ ، ركندورف Reckendorf في « صحيفة الآداب الشرقية » ١٩٢٣ ص ٣٥١ .

الحديث . ويضاف إلى تراجم الصحابة تراجم التابعين ، الذين لم يعودوا متصلين بأية صلة شخصية بسيرة النبي . ولا أتقدم هنا لأذكر خصائص أخرى للطبقات ، ولكن أتوأت تناول صفتها الخاصة لا في الرسالة المذكورة سابقا وحدها ، بل أيضا في المقالة المسماة : « أصل الطبقات وأهميتها^(١) » التي يناقش فيها صلة « طبقات » ابن سعد بطبقات الواقدي وأخيرا شرح سخاؤ في مقدمة المجلد الثالث من نسخته المناهج التي اتبعها ابن سعد في « الطبقات » شرحا أكثر دقة .

ولا تؤلف سيرة النبي في مجموعات العصور التالية في مصنفات الطبري والمسمودي ، واليعقوبي وغيرهم غير فصل في معرض تاريخ العالم ، ولا يُخصّص لها كتبا ثانية إلا مؤلفو القرون المتأخرة ، من أمثال الحلبي^(٢) (المتوفى عام ١٠٤٤هـ) وابن سيد الناس (المتوفى عام ٧٣٤هـ) اللذين أكثرا في آثارهما من ذكر مؤلفي المغازي الأولى ، الذين هم موضوع هذه المقالات .

(١) «مجلة جامعة المستشرقين الألمان» المجلد ٢٣ ، الصفحة ٥٩٣ وما بعدها .

(٢) هو علي بن برهان الدين الحلبي ، صاحب السيرة الحلبية .

ضمائم

جمعها المترجم ؛ وهي أمثلة تبين أساليب

أصحاب المغازى في توأليهم

أبان بن عثمان

- ١ -

الفقرة التي أوردها ابن قتيبة عن أبان بن عثمان :

« وكان كعب فخلا مجيدا... وكان أخوه بُجَيْرُ أسلم قبله ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة . وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فتوعده . فبعث إليه بجير فحذره . فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بأبي بكر . فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته ، فقال : يا رسول الله ، هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام . قبسط للنبي صلى الله عليه وسلم يده . فحسر كعب عن وجهه ، وقال : هذا مقام العائذ بك يا رسول الله ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار ، وغلظت له ، لذكركه كان قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحبت المهاجرة أن يسلم ويؤمنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمنه واستنشده :

بانت سعادُ قلبي اليومَ متبولُ

مُتَبِّمٌ إثرَها لم يُفدَ مكبولُ

فلما بلغ قوله :

إن الرسولَ لتُورُّ يستضاه به وصارمٌ من سيوفِ اللهِ مسلولٌ
في عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم يبطن مكة لما أسلموا : زُولُوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشفٌ يوم اللقاء ولا سودٌ معازيلُ
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش ، كأنه
يُومئُ إليهم أن يسمعوا ، حتى قال :

يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ إِلَيْهِمْ يَقْضِيهِمْ

ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ

يعرض بالأنصار ، لغلظة منهم كانت عليه . فأنكرت قريش عليه ،
وقالوا : لم تمدحنا إذ هجوتهم . فقال :

من سَرَّةٍ شرفُ الحياةِ فلا يزكُ في مِتْنَبٍ من صالحِ الأنصار
فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بُردة ، اشتراها معاوية بعد ذلك
بعشرين ألف درهم ، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين . زعم ذلك
أبان بن عثمان بن عفان .

آخر ماتنقوه به عمر بن الخطاب :

« عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، عن أبيه ، عن عثمان بن عفان ، قال : أنا آخرُكم عهداً بعمر ، دخلتُ عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله ابن عمر ، فقال له : ضعْ خَدِّي بالأرض . قال : فهل فَخِذِي والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدي بالأرض لا أمَّ لك ، في الثانية أو في الثالثة ، ثم شَبَّكَ بين رجليه ، فسمعتُهُ يقول : وَيْلِي وَيْلِي أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، حَتَّى فَاضَتْ نَفْسِي .

قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة قال : (نا) صفيان ، عن عاصم بن عبيد الله ، قال : حدثني أبان بن عثمان ، عن عثمان ، قال : آخر كلمة قالها عمر حتى قضى : وَيْلِي وَيْلِي أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، وَيْلِي وَيْلِي أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، وَيْلِي وَيْلِي أُمِّي إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي !

« ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٦٢ »

عروة بن الزبير

رسالة عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان :

« ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان :

أما بعد فإنك كتبت إلىّ في أبي سفيان ومخرجه؛ تسألني كيف كان شأنه؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريش من سبعين راكبا، من قبائل قريش كلها، كانوا تجارا بالشام. فأقبلوا جميعا معهم أموالهم وتجارتهم: فذُكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك، فقتلت قتلى، وقتل ابن الحضرميّ في ناس بنخلة، وأسرت أسارى من قريش، فيهم بعض بني المغيرة، وفيهم ابن كيسان مولاهم، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بني عدّي ابن كعب، في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم مع عبد الله بن جحش. وكانت تلك الواقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش، وأول ما أصاب بعضهم بعضا من الحرب. وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام.

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام، فسلكوا طريق الساحل. فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه، وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلة عددهم. فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه، لا يرونها إلا غنيمة لهم، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم. وهي التي أنزل الله عز وجل فيها: « وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ أَعْيُنُكُمْ » .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون

له بعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم فأجبروا تجارتكم .
فلما أتى قريشا الخبر ، وفي غير أبي سفيان من بطون كعب بن لؤي كلها ،
نفرَ لها أهل مكة ، وهي نفرة بني كعب بن لؤي ، ليس فيها من بني عامر
أحد ، إلا ما كان من بني مالك بن حِسل .

ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، حتى
قدم النبي صلى الله عليه وسلم بدرا . وكان طريق ركبان قريش ، من أخذ
منهم طريق الساحل إلى الشام . فحفض أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق
الساحل ، وخاف الرّصد على بدر .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرّس قريبا من بدر . وبعث
النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ،
وليسوا يحسبون أن قريشا خرجت لهم . فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم
يصلي إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام
لبني الحجاج أسود ، فأخذه نفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهو معرّسه ، فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه ، لا يحسبون إلا أنه
معهم ، فطلق العبد يحدّثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤوسهم ،
ويصدّقهم الخبر ، وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ، وإنما يطلبون حينئذ
بالركب أباسفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلّي : يركع ويسجد ،
ويرى ويسمع ما يُصنع بالعبد ، ففطقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم

ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه . فجعل العبد إذا أذلقوه ^(١) بالضرب ، وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه وليس له بهم علم ، إنما هو من روايا قريش ، قال : نعم ، هذا أبو سفيان . والركب حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل : « إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... » حتى بلغ « أُنزَا كَانَ مَفْعُولًا » ، فطفتوا إذا قال لهم العبد: هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعهم النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته ، وقد سمع الذي أخبرهم ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب » . قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشا قد جاءت ! قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تحجير ركابها . فدعا الغلام ، فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لي بأبي سفيان . فسأله : كم القوم ؟ فقال : لا أدري والله ، هم كثير عددهم . فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أطعمهم أول من أمس ؟ فسئى رجلا أطعمهم . فقال : كم جزائر نحر لهم ؟ قال : تسع جزائر . قال : فمن أطعمهم أمس ؟ فسئى رجلا . فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر . فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

(١) أذلقوه بالضرب : أضفوه وأجهدوه .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الماء ، وملاً الحياض ، وصفاً
عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدرا قال : هذه مصارعهم . فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم
إليه ، ونزل عليه . فلما طلّعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها تُحَادِثُكَ وتكذب رسولك ، اللهم إني
أسألك ما وعدتني . فلما أقبلوا استقبلهم ، فحشا في وجهم التراب ، فهزمهم الله ؛
وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من
أبي سفيان والركب الذين معه : أن ارجعوا . والركب الذين يأمرهم قريشا
بالرجعة بالجحفة ، فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرا ، فنقيم به ثلاث ليال ،
ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما
جمعنا فيقاتلنا ، وهم الذين قال الله عز وجل : « الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ » ، فالتقواهم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على
رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم .

« الطبري ١ : ١٢٨٤ »

فقرة من تناول عمروة لحروب الردة :

« هشام ، عن عمروة ، عن أبيه ، قال : كفرت العرب ، فبعث أبو بكر
خالد بن الوليد فلقبهم . ثم قال : والله لا أنتهي حتى أناطح مسيلة .

فقات الأنصار : هذا رأى تفردت به ، لم يأسرك به أبو بكر ، ارجع إلى المدينة حتى تريح كراعنا^(١) . فقال : والله لا أنتهى حتى أناطحه . فرجعت عنه الأنصار ، ثم قالوا : ماذا صنعنا ؟ لئن ظهر أصحابنا لقد خُسننا ، ولئن هربوا لقد خذلناهم ، فرجعوا ومضوا معه . فالتقى المسلمون والمشركون ، فولّى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرجال ، فقام السائب بن العوام ، فقال : أيها الناس ، قد بلغتِ الرجال ، فليس لامرى مفرب بعد رحله ، فهزم الله المشركين ، وقتل مسيلة : وكان شعارهم يومئذ : يا أصحاب سورة البقرة .

« فتوح البلدان ٨٩ »

ققرة من تناول عروة لتاريخ الخلفاء والحزب الزبيرى فى يوم الجمل :
« عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان لايحيى رجل فيأخذ بالزمام [بزمام جمل عائشة] حتى يقول : أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين ، فجاء عبد الله بن الزبير ، فقالت حين لم يتكلم : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله ، أنا ابن أختك . قالت : وا تُكَلِّ أسماء ، تعنى أختها . وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدي بن حاتم . فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر . فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله الأشتر . ومشى إليه عبد الله بن الزبير ، فضربه الأشتر على رأسه ، فجرحه جرحا شديدا ، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة . واعتنق كل منهما صاحبه ، وخرّا إلى

(١) الكراع هنا : الخيل .

الأرض يعتزكان ، فقال عبد الله بن الزبير : اقتلوني ومالكاً ؛ وكان مالك يقول : ما أحب أن يكون قال : « والأشتر^(١) » وأن لي حُمْرَ النَّعَمِ^(٢) . وشد أناس من أصحاب عليّ وأصحاب عائشة فافترقا ، وتَنَقَّذَ كل واحد من الفريقين صاحبه .

« الطبرى ١ : ٣٢٠٧ »

مُشْرِحِيلُ بْنُ سَعْدٍ

— ١ —

الفقرة التي تناول فيها شرحبيل هجرة الرسول :

« حدثني مجمع بن يعقوب أنه سمع شرحبيل بن سعد يقول : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتقل من قُباة اعترضت له بنو سالم ، فقالوا : يا رسول الله ، وأخذوا بِحِطَامِ راحلته ، هَلَمَّ إلى العَدَدِ والعُدَّةِ ، والسلاح والمنعة . فقال : خَلُّوا سبيلها ، فإنها مأمورة . ثم اعترضت له بنو الحارث بن الخزرج ، فقالوا له مثل ذلك ، فقال لهم مثل ذلك . ثم اعترضت له بنو عدي ، فقالوا له مثل ذلك ، فقال لهم مثل ذلك ، حتى بركت حيث أمرها الله . »

« ابن سعد : الطبقات الكبير ١ : ١٦٠ »

(١) الأشتر : لقب مالك بن الحارث النخعي الفارس الشاعر التابعي ، من أصحاب علي رضي الله عنه . (عن تاج العروس) .
(٢) النعم : الإبل والشاء ، وحمير النعم : أعزها وأندرها .

وهب بن منبه

- ١ -

فقرة تبين أسلوب وهب ومراعاته الخرافات والأساطير :

« قال وهب : ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار العربية ، أنزل كتابا مقطعا ، وهو : شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

حكم الحى القيوم أنه إذا اعتكر^(١) الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم فى ذرية آدم الشيطان ، وغلب هذا اللسان ، فعبدت الأوثان ، وقتل الولدان ، أن بعث الله محمدا بالعدل والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، نبي لاني بعده ، ولم يخلف الله وعده .
« كتاب التيجان ٢٦ »

- ٢ -

وهذه فقرة من تاريخ اليمين لوهب :

ملك الهمال بن عاد

المعروف بذي شدد ملك متوج

« وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن

(١) اعتكر الزمان : اختلطت أموره والتبست .

المَلَطَّاط بن السَّكْسَك بن وائل بن حمير، والهَمَال بن عاد هو ذُو شَدَد . فلما صار الملك إلى هَمَال ذى شدد دخل إلى المغارة التي دفن فيها أخوه شداد ابن عاد، فأخرج التاج، وتتوج به . وكان لقمان غيبه في تلك المغارة، لأنه لم يكن متوجاً، كان متواضعاً لله . فلما ولي الهَمَال بن عاد أخذ الملك أخذاً شديداً، فولى ذلك حيناً من الدهر، ثم مات . وإنما قيل له ذُو شدد بلغة حمير، كقولك ذُو شطط بن عاد بن مناح، أى ذُو عطاء .

« كتاب التيجان ٧٨ »

عبد الله بن أبي بكر

— ١ —

فقرة من تناوله للسرايا :

« ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السَّريَّة الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: « إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيت ذلك فهو فيء الله الذي أفاءه إليكم، وأنتم أحق به . » قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه . قال: فردوا عليه ماله، حتى إن الرجل ليأتي بالحبل، ويأتي الرجل بالسَّنة^(١) والإداوة^(٢)، حتى إن أحدهم ليأتي بالشُّظاظ^(٣)، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه

(١) السنة: السقاء البالي . (٢) الإداوة: إناء صغير من جلد .

(٣) الشُّظاظ: خشبة مقوفة تدخل في عروى الجوائق .

شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه^(١) ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، جزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وما منعتني من الإسلام عنده إلا تخوفاً أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم ، فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« الطبرى ٣ : ٢٣٠٥ ؛ وابن هشام ٢ : ٣١٣ »

- ٢ -

وهذه فقرة تبين عنايته بالسنين وبحياة النبي قبل البعثة :
« ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ... أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنوات ، بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني عدى بن النجار تزيرُهُ إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة » .

« الطبرى ١ : ٩٨٠ »

- ٣ -

وهذه فقرة من وصفه لموقعة القادسية :
« محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ... ثم زحف إليهم رستم

(١) أبضع معه : أرسل بضاعته معه .

وزحف إليه المسلمون وما عاتقهم^(١) غير براذع الرجال، قد عرضوا فيها الجريد يترسون^(٢) بها عن أنفسهم ، وما عاتق ما وضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرجال^(٣) ، يطوى الرجل نسع رحله على رأسه يتقى به ، والفرس فيما بينهم من الحديد واليلايق . فاقتتلوا قتالا شديدا ، وسعد [بن أبي وقاص] في القصر ينظر ، معه سلمى بنت خصفة ، وكانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت ، فقالت : واُمثنيآه ، ولا مُثنى لي اليوم ! فغار سعد ، فلطم وجهها ، فقالت : أئيرةً وجبنا ؟! فلما رأى أبو محجن [الثقفى الشاعر المعروف ، وكان محبوبا عند سعد لشربه الخمر] ماتنم الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العذيب ، وكان مع سعد فيه ، قال :

كفى حزننا أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عتاني الحديد ، وأغلقت مصاريع دوني لأجيب المناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخوةٍ فقد تركوني واحدا لا أخاليا

فكلم زبراء أم ولد سعد ، وكان عندها محبوبا ، وسعد في رأس الحصن ينظر إلى الناس ، فقال : يا زبراء ، أطلقيني ولكِ على عهد الله وميثاقه : لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلى . فأطلقتته وحماته على فرس لسعد ببقاء ، وخلت سبيله . فجعل يشد على العدو وسعد ينظر ، فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها . فلما أن فرغوا من القتال ، وهزم

(١) الجن : جمع جنة ، وهى ما يستتر به .

(٢) يترسون بها : يجعلونها ترسا واقيا .

(٣) أنساع الرجال : جمع نسع ، وهو جبل طويل عريض يشد به الرجل .

الله جموع فارس، رجع أبو محجن إلى زبراء، فأدخل رجله في قيده . فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد ركبت ، فسأل عن ذلك زبراء ، فأخبرته خبر أبي محجن ، فحلى سبيله .

« الطبرى ١ : ٢٣٥٣ »

عاصم بن عمر

— ١ —

فقرة تبين سبب إسلام الأنصار :

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من

قومه ، قالوا :

إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فأمننا به ، وكفروا به ، فبينما وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : « وَمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ،

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ .
« ابن هشام : السيرة النبوية ١ : ٢٢٥ »

- ٢ -

وصف بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ :

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة :
أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
ابن عباد بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ،
هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه
على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترؤن أنكم إذا
نهكت أموالكم مُصيبة ، وأشرانكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ؛ فهو والله
إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترؤن أنكم وآفون له بما
دَعَوْتُمُوهُ إليه على نَهْكَ^(١) الأموال ، وقتل الأشراف ، نخذوه ، فهو
والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل
الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وقينا بذلك ؟ قال : الجنة .
قالوا : اسْطُ يدك ، فبسط يده ، فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد
العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبد الله بن أبي بكر

(١) نَهْكَ الأموال : نقصها .

فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضّرها
عبد الله بن أبيّ بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم .
« ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٨٨ »

— ٣ —

ققرة في وصف موقعة بدر :

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن
الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يارسول الله ، ما يضحك الربّ من عبده ؟
قال : غمسه يده في العدو حاسرا^(١) . فنزع درعا كانت عليه ، فقدفها ،
ثم أخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .
« ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٢٨٠ »

— ٤ —

في فتنة عثمان :

« محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما نزلوا
[الثوار] ذا خشب ، كلم عثمان عليّاً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يردوهم عنه . فركب عليّ ، وركب معه نفر من المهاجرين ، فيهم سعيد بن
زيد ، وأبو جهّم العدويّ وجبّير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن
الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، وخرج من
الأنصار أبو أسيد السّاعديّ ، وأبو حميد السّاعديّ ، وزيد بن ثابت ، وحسان

(١) الحاسر : الذي لا درع له . (عن اللسان) .

ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومعهم من العرب نيار بن مكرز وغيرهم ؛
ثلاثون رجلا . وكلهم على محمد بن مسلمة ، وهما اللذان قدما ، فسمعوا مقالتهما
ورجعوا . »

« الطبرى ١ : ٢٩٧٠ »

الزُّهْرِيُّ

— ١ —

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم :

« قال ابن إسحاق ، فذكر الزهري ، عن عمرو بن الزبير ، عن
عائشة رضی الله عنها ، أنها حدثته : أن أول ما بُدِيَ به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا
الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت
كفلق الصبح ، قالت : وَحَبَّبَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخَلْوَةَ ، فلم يكن شيء
أحبَّ إليه من أن يخلو وحده . »

« ابن هشام ١ : ٢٤٩ »

— ٢ —

وصف المغازى :

« عن عُقَيْلٍ ، عن الزهري : أن وقيمة بنى النضير من يهود كانت

على ستة أشهر من يوم أحد . فخاصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة^(١)، فأنزل
الله فيهم « سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ،
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... » إلى قوله :
« وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ » .

« البلاذري : فتوح البلدان ١٨ »

موسى بن عقبة

- ١ -

تاريخ الجاهلية :

« عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن موسى بن عقبة ، قال : سمعتُ
من أرضي يُحدِّث أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ،
ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض
نباتا ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ! إنكارا لذلك وإعظاما له .
« الأغانى ٣ : ١٦ »

رسالة النبي إلى المنذر بن ساوى :

« عن موسى بن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى منذر ابن ساوى : من محمد النبي إلى منذر بن ساوى :

سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

أما بعد : فإن كتابك جاءني ، وسمعتُ مافيه ، فمن صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، ومن أبى ذلك فعليه الجزية . »

« البلاذري : فتوح البلدان ٨٠ »

فتنة عثمان :

« محمد بن مسلم عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة ، قال : نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قُتل عثمان ، دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب ، فقال له مروان : الآن تندم ، أنت أشعرتَه (١) ، فأسمعُ سعدا يقول : أستغفر الله ، لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة ، ولا يطلبون دمه ، وقد دخلتُ عليه الآن ، فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك ، فنزع عن كل ما كره منه ، وأعطى التوبة ، وقال : لا أتمادى في الملكة ، إن من تهادى في الجور كان أبعد من الطريق ، فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان : إن كنت تريد أن تدب عنه فعليك بابن أبي طالب ، (١) أشعرتَه : شهرته بقولك ، فصار له كالطعنة في البدنه (عن النهاية لابن الأثير) .

فإنه متستر وهو لا يُجِبُّه . فخرج سعد حتى أتى علياً وهو بين القبر والمنبر ، فقال : يا أبا حسن ، قم فذاك أبي وأمي ، جئتُك والله بخير ماجاء به أحد قطُّ إلى أحد : تصل رَحِمَ ابن عمك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر على ماحب ، قد أعطى خليفَتك من نفسه الرضا فقال علي : تقبَّلَ اللهُ منه يا أبا إسحاق ، والله ما زلتُ أذب عنه حتى إني لأستحي ، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص ، وهم صنعوا به ما ترى ، فإذا نصحتُه وأمرتُه أن يُنَحِّبَهُم استَغَشَّني ، حتى جاء ما ترى ... فينأهم كذلك جاء محمد بن أبي بكر ، فسارَ علياً ، فأخذ علي بيدي ، ونهض علي وهو يقول : وأى خير توبته هذه ؟ فوالله ما بلغت داري حتى سمعتُ الهائمة^(١) ، أن عثمان قد قتل ، فلم نزل والله في شر إلى يومنا هذا .

« الطبرى ١ : ٢٩٩٨ »

— ٤ —

ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة من قبل الوليد بن عبد الملك :
« حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي حبيبة ، قال : اعتمرتُ ، فنزلتُ دور بنى أسد ، في منازل الزبير ، فلم أشعر إلا به [بخالد بن عبد الله القسرى] يدعوني ، فدخات عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة . قال : ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة ؟ قلت : إنما مقامي إن أقمت يوماً^(٢) أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلي ، وليس عندي خلاف ، أنا ممن يعظم أمر الخلافة ، وأزعم أن من جردها فقد هلك .

(١) الهائمة : الصوت الشديد يفرع منه . (٢) كذا في الطبرى .

قال : فلا عليك ما أقمت ، إنما يُكره أن يقيم من كان زارياً على الخليفة .
قلت : معاذ الله .

وسمعتُه يوماً يقول : والله ، لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم
لنظمت لم تقر بانطاعة ، لأخرجتها من الحرم ، إنه لا يسكن حرم الله وأمنه
مخالف للجماعة ، زار عليهم . قلت : وفق الله الأمير .
« الطبرى ٢ : ١٢٣١ »

معمر بن راشد

- ١ -

قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمrod :

« نا عبد الرزاق ، قال : نا معمر ، عن زيد بن أسلم : أن أول جبار
كان في الأرض نمrod ، وكان الناس يخرجون فيمتارون^(١) من عنده الطعام ،
فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرَّ به ناس قال : من ربُّكم ؟
قالوا : أنت . حتى مرَّ به إبراهيم قال : من ربُّك ؟ قال : « ربي الذي يُحيي
وَيُميت . قال : أنا أحيي وأميت . قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من
المشرق ، فأتى بها من المغرب . فبُهِت الذي كفر » . قال : فردَّه بغير
طعام . قال : فرجع إبراهيم إلى أهله ، فرَّ على كَثِيبٍ أعفر ، فقال : هلا أخذ
من هذا ، فأتى به أهلي ، فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم . فأخذ
منه فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ، ثم نام . فقامت امرأته إلى متاعه
ففتحتة ، فإذا هي بأجود طعام رآه أحد ، فصنعت له منه ، فقرَّبتَه إليه .

(١) امتار : جمع الطعام والثوبة .

وكان عهد أهلهم ليس عندهم طعام . فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذي جئت به ، فلم أن الله قد رزقه ، فحمد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار ملكا أن آمن بي وأتركك على ملكك . قال : فهل ربٌ غيري ؟ ! فجاءه الثانية ، فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام . فجمع الجبار جموعه ، فأمر الله الملك ، ففتح عليهم بابا من البعوض ، فطلعت عليهم الشمس ، فلم يروها من كثرتها ؛ فبعثها الله عليهم ، فأكلت لحومهم ، وشربت دماءهم ، فلم يبق إلا العظام والملك كما هو لم يُصبه من ذلك شيء . فبعث الله عليه بعوضة ، فدخلت في منخره . فمكث أربع مئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وأرحمُ الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جبارا أربع مئة عام ، فعذبه الله أربع مئة سنة كملكه ، وأماته الله . وهو الذي بنى صرْحا إلى السماء ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذي قال الله : « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ » .

« الطبرى ١ : ٣١٩ »

النبي في مكة :

« ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزن حزنا شديدا ، جعل يفتدو إلى رهوس

شواهد الجبال ليتدري منها ، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول : إنك نبي الله ، فيسكن لذلك جأشه ، وترجع إليه نفسه .
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشي يوماً إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء ، على كرسى بين السماء والأرض ، فجئنت^(١) منه رعباً فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زملوني . فرملناه : أي دثرناه ، فأنزل الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .

« الطبري ١ : ١١٥٥ »

بين الخليفة معاوية والمغيرة بن شعبة عام ٦٠ هـ :

« حدثني عبد الله ، عن معمر ، عن جعفر بن برقان : أن المغيرة كتب إلى معاوية :

أما بعد :

فإني قد كبرت سني ، ودق عظمي ، وشفت لي قریش^(٢) ، فإن رأيت أن تعزلي فاعزلي .

فكتب إليه معاوية :

جاءني كتابك تذكري فيه أنه كبرت سنك ، فلعمري ما أكل عمرك غيرك ، وتذكري أن قریشا شفت لك ، ولعمري ما أصبت خيراً إلا منهم .

(١) جئت : دعت وخاف . (٢) شفت له : أبغضه .